The problematic of relationship between cognition and emotion

DOI: 10.57642/AJOPSY6

Jalal El Ati-Rabbi
doctorja@gmail.com
Department of Psychology, Faculty of Letters and Human Sciences Dhar El Mehraz, Sidi Mohamed Ben Abdellah University, Fes, Morocco.
Recieved: 20/12/2022 Accepted: 30/12/2022 Published: 31/12/2022

Abstract

This article aims to highlight the aspects of the complicated relationship between cognition and emotion as it has been demonstrated historically, and sheds light on the psychological efforts exerted in order to uncover the nature of this relationship, even if it is not an easy task. Traditionally, namely in philosophy and early psychology, the relationship between cognition and emotion has occupied, if not consumed, theorists interested in emotion for some time now, with some preferring the view that cognition and emotion are separate and at least partially independent, and others arguing that emotion is best viewed as an aspect of cognition. Nevertheless, some neuroscientists and psychologists like Immordino-Yang, Damasio and LeDoux liken this view of emotions to a toddler in a china shop, interfering with the orderly rows of stemware on the shelves. Many researchers, therefore, have tended to control for emotions rather than accept their role in cognitive functioning, learning and performance.

Keywords: cognition; emotion; James-Lange theory; Cannon-Bard Theory; primacy of cognition.

إشكالية العلاقة بين المعرفية والانفعال

جلال العاطي ربي
doctorja@gmail.com
قسم علم النفس بكلية الآداب والعلوم الإنسانية، ظهر المهراز، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، فاس، المغرب.
الاستلام: 2022/12/20 القبول: 2022/12/30 النشر: 2022/12/31

ملخص

يهدف هذا المقال إلى إبراز أوجه العلاقة الشائكة بين المعرفية والانفعال كما تمظهرت تاريخيا، وترنو إلى تسليط بعض الضوء على الجهود السيكولوجية المبذولة لكشف النقاب عن طبيعة هذه العلاقة، حتى ولو أنها ما تلبث مهمة غير يسيرة. إن العلاقة بين المعرفية والانفعالات، سواء في الفلسفة أو علم النفس في سنواته الأولى، قد شغلت، إن لم تكن قد استنزفت، اهتمام الباحثين والمنظرين الذين باتوا يهتمون بالانفعالات في الآونة الأخيرة. وقد توزعوا بين لفيف أول ينافح عن وجهة النظر القائلة إن المعرفية والانفعال منفصلان ومستقلان جزئيا على الأقل عن بعضهما البعض، وفريق آخر يلح على أن من الأجدى والأولى أن ننظر إلى الانفعال على أنه مظهر من مظاهر المعرفية. ومع ذلك، فإن بعض علماء الأعصاب وعلماء النفس من مثل إيموردينو- يانغ ودامازيو ولودو يذهبون إلى تشبيه هذه العلاقة بصبي صغير في متجر صيني يعبث بالصفوف المنظمة للكؤوس الزجاجية ذات السيقان على الرفوف. وبناء عليه، يميل العديد من الباحثين إلى السيطرة على المشاعر والانفعالات بدلا من قبول دورها في الوظائف المعرفية والتعلم والأداء.

الكلمات المفتاحية: المعرفية؛ الانفعال؛ نظرية جيمس-لانج؛ نظرية كانون-بارد؛ أولية الانفعال.

مقدمة

إن تاريخ سيكولوجية الانفعال هو تاريخ زاخر بالتقابلات بين العقل/الذهن والجسم/الانفعال منذ أفلاطون على الأقل الذي نظر إلى الانفعالات على أنها عنصر مشوش، إلى كانط الذي حسبها "أمراضا للنفس" مرورا بهيوم القائل بأن العقل عبد للأهواء. لكن ثمة مراحل في التاريخ تعرف استيقاظا للمشاعر والانفعالات كما تستيقظ الأميرة النائمة في حكايات أمي الإوزة لشارل بيرو، وهذا ما حدث بالفعل في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، ما كان إيذانا بالدخول في مرحلة جديدة، بله مرحلة أنثربولوجية جديدة أعادت الاعتبار إلى الانفعالات والمشاعر لا بوصفها خللا في السلوك وفعلا ضائعا بل باعتبارها مساعدة على الفعل وحليفة للعقل. أو لنقل بعبارة أخرى، إننا ولجنا مرحلة سيحل فيها الهومو سانتيانس محل الهومو سابيانس (نقول هذا ونحن ندرك تبعات هذا التحول مثل عبادة الانفعالات وتناقضاتها التي تحدث عنها ميشيل لاكروا).

في الحقيقة، إن هذا الواقع الجديد كان نتيجة صيرورة تاريخية بدأت عقب منتصف القرن التاسع عشر عندما أكد داروين فكرة الاستمرارية بين الإنسان والحيوان في كتابه التعبير عن الانفعالات عند الإنسان والحيوان (1872). وبعد عقدين من هذا الحدث سيطرح، بشكل مستقل، كل من وليم جيمس وكارل لانج وسذرلند فرضية تناقض الحس المشترك لتفسير كيفية تحرير أو إطلاق الانفعالات. هذه الأخيرة (أقصد الانفعالات) سيبوئها سيغموند فرويد مركز الصدارة في استكشافاته لحالات سيكومرضية، في حين أن شارل شيرينغتون سيشرع بعد ذاك في الدراسة النوروفيزيولوجية لدارات الدماغ المسؤولة عن الانفعال. لكن هذه الفترة مع ذلك لم تكن الفترة التي سيغدو فيها تناول موضوع الانفعالات أكثر عمقا. فإذا استثنينا التحليل النفسي الذي لم ينس أبدا موضوع الانفعالات فإن السلوكية والثورة المعرفية والعلوم العصبية الحاسوبية قد أدارت ظهرها للانفعالات. وفي إطار المنعطف الحاسم الذي ستشهده ثمانينيات القرن الماضي ستظهر العديد من الأبحاث حول الانفعالات (أعمال Zajonc وLazarus مثلا) ويبقى عمل أنطونيو دامازيو (1994) الموسوم بخطأ ديكارت، عقل الانفعالات (الذي قلب الكوجيطو عبر مقاربة نورولوجية للانفعال) وعمله الثاني الإحساس بالذات نفسها (1995) وعمله الثالث بحثا عن سبينوزا (2003) من الأعمال البيونورولوجية التي ساهمت في معاودة الاهتمام بالانفعالات، وفي العقود الأخيرة أضحت العلوم العصبية الوجدانية neurosciences affectives من الميادين الهامة التي كانت لها انعكاسات إيجابية على العلوم المعرفية وعلى تطوير مقاربات 4EA (انظر أعمال Damasio, 1994, 2017; LeDoux, 1993; Panksepp, 2004; Feldman-Barrett, 2011).

إن عودة الانفعالات في هذه الفترة التاريخية بالذات لا تعني استقلالية المعرفية كلية وخروجها من المشهد أو تحولها إلى معرفية ساخنة باستمرار كما قد يعتقد البعض بل إن الانفعالات سرعان ما ستنسحب إلى منطقة الظل خاصة مع ظهور البراديغم السلوكي الذي استبعد كل ما هو داخلي من الدراسة الموضوعية والبراديغم المعرفي ذي التوجه المادي الذي يرفض كل ثنائية أنطولوجية.

تتناول هذه الورقة إشكالية العلاقة بين المعرفية والانفعال، وهي لا تدعي بأي حال من الأحوال مقاربة هذه الإشكالية مقاربة شمولية خاصة إذا علمنا، من جانب، أن هذا الموضوع تتجاذبه حقول علمية ومعرفية متعددة من قبيل الفلسفة، وعلم النفس المعرفي وعلم النفس الاجتماعي المعرفي وعلم النفس المرضي المعرفي والعلوم العصبية، ومن جانب آخر فداخل التخصص نفسه نجد وجهات نظر متضاربة ومتباعدة. لكننا سنختار عينة نأمل أن تكون تمثيلية لتسمح لنا بتقديم مختلف المصادرات ذات العلاقة بإشكاليتنا.

1. تاريخ العلاقة بين المعرفية والانفعال

إن العرض التاريخي لأوجه العلاقة بين المعرفية والانفعال يفرض علينا أمرين على الأقل: أولا، الانتقائية؛ وثانيا، الاختزال. ولهذا، سنعمد في خطوة أولى إلى تقديم ومضات سريعة غير مسهبة تتناول بالأساس طبيعة العلاقة بين الذهن والجسم أو قل بين المعرفية والانفعال.

1.1 العصور اليونانية القديمة: لعنة أبولو

ب. اليونان البدائية: اليونان الصوفية

منذ العصور الأولى، كان الانفعال في صميم تصورات الإنسان للعلاقة بين الجسم والمعرفية أو ما يسميه دوتش (1959) "بالقفزة الملغزة للنفس في غياهب الجسم". إن الفكر اليوناني القديم فكر أحادي، بمعنى أن الروح تشبه الجسم الذي لا تفارقه إلا في لحظة الموت على شكل فراشة تخرج من فم الميت (بسيخي تعني في اللغة اليونانية

الروح والفراشة). من المحتمل أن البذور الأولى للثنائية التي تفصل الجسم والانفعال والذهن تعود إلى بدايات عبادة ديونيسيوس ومأسسة العبادة الأورفية. وبهذا الخصوص يمكن أن نسجل الأفكار التالية:

- ❖ الروح تتمتع بهالة تقديسية وهي متعالية ومفارقة، وسجينة داخل الجسد (الجسد-السجن، الجسد-القبر)، فالجسد يشوه أصل الروح الآتية من العالم الآخر، هذه الروح المشوهة التي يداعبها الحنين تبحث عن الانعتاق من الجسد أو أن تنبعث من جديد؛
- ❖ كانت الطقوس الدينية بمثابة تطهير أو تنفيس انفعالي وقد تطرق إليها دوركايم في مؤلفه الشهير الأشكال الأولية للحياة الدينية؛
- ❖ هذه الأفكار ستنتقل لاحقا إلى **الفيتاغوريين وأفلاطون** وسوف تنعكس في أفكارهم (نظرية النفس الأفلاطونية).

ب. الأيونيون: اليونان الطبيعانية

افترض **هيرقليطس** بأصالة لا نظير لها سيكولوجية بيئية للبسيخي. فإذا كان الإنسان قادر على التنفس والحركة والتفكير المنطقي فإنه يوجد في الهواء والعالم الواقعي الكيفيات المناسبة وسيرورات العقل. فبدون الواقع، ليس الإنسان من الناحية السيكولوجية قادرا على أي شيء. كل شيء ينهض على إدراك المحسوس. في المقابل، يرى **بارمينيدس** أن كيفيات الفكر العقلاني هي الحاسمة وليس البيئة. إذ أن الإدراك الحسي هو كما هو، ولكن عمل النفس بما هي ذات معرفية، هي ما يضفي المعنى على الإدراك. وبذلك، فالانفعال لا يوجد في الحياة الخارجية، التي هي حركة ولا وجود، ولكن في الفكر. وبهذا المعنى، يمكن اعتبار بارمينيدس أول "سيكولوجي معرفي". وإلى جانب ذلك، يعتبر **ألسيميون الكروتوني** أول مشرح وفيزيولوجي يوناني سيتخذ من الدماغ مقرا للروح بدلا من القلب، الفكرة التي سيعود أرسطو والرواقية (أي النفس مقرها القلب) إلى إحيائها مرة أخرى.

ت. الميتاسيكولوجيا اليونانية

- **أفلاطون وبنية النفس الثلاثية**

اشتهر أفلاطون أساسا بتقسيمه البنيوي الثلاثي للنفس (اللوغوس/المعرفية؛ الثيموس/الانفعال؛ الإبيثيميا/ الحوافز والرغبات) وإرسائه لميتاسيكولوجية الروح الترانسندنتالية الخالدة (روسو وأوغسطين) التي ستكرس فكرة الثنائية التي سيرثها ديكارت. في حين يعتبر أرسطو أن النفس هي صورة الجسم المادي، وهو أول من صرح في كتاب النفس عن الثنائية المتوازية النفس-الجسم، كما أن أفكاره في هذا الكتاب سيكون لها وقع عظيم على وليم جيمس. يقول أرسطو في الخطابة " إن الانفعالات هي تلك الإحساسات التي تغير الإنسان إلى حد التأثير في جودة حكمه، وهي غالبا ما تكون مصحوبة إما بالألم أو اللذة".

وعلى ذات المنوال تقريبا، تؤكد الفلسفة الرومانية (لوكريس وماركوس أوريليوس وشيشرون) أولية الفكر على الجسم والانفعال. يقول الملك الفيلسوف ماركوس أوريليوس "إذا ألم بك شيء خارجي، فالألم لا يعود إلى الشيء نفسه، ولكن إلى تقييمك لذلك الشيء. إن لك القوة على تدميره في أي حين".

على إثر أفول الإبستيمي اليوناني، على الرغم من محاولات الأفلاطونية الجديدة (أفلوطين) الحثيثة، بقيت فكرة تعالي الروح المقدسة والجسد المدنس راسخة الجذور ومهيمنة على الفكر الغربي إلى أن عادت الأرسطية على يد كل من ابن سينا وابن رشد، من جهة، وتوما الأكويني من جهة أخرى.

1.2 الإبستيمية الديكارتية

❖ **الثنائية التفاعلية**

يمكن أن نرصد ثلاث لحظات أساسية في سيكولوجية ديكارت المعرفية:

- **التصور الأنثربولوجي:** لأول مرة في تاريخ البشرية الفكري سيحدد الإنسان نفسه بنفسه بعيدا عن أي فكر أسطوري أو ديني مفارق. ما الإنسان؟ الإنسان شيء مفكر على ما قال فيلسوف الكوجيطو؛
- إرساء لبنات **مذهب دوغمائي** لثنائية الجسم/الفكر التي لا زالت حاضرة إلى اليوم في السيكولوجيا المعرفية؛
- بخصوص موضوع الانفعالات، بلور ديكارت في كتابه **انفعالات النفس** (1649) سيكولوجية محسوسة مبنية على الملاحظة. هذا الكتاب كان له تأثير فادح على الإبستيمولوجيا البيولوجية وعلم النفس والفلسفة. ويقترح ديكارت بين دفتي هذا الكتاب ستة انفعالات أساسية أو بدائية وهي**" الإعجاب، الحب، الكراهية، الرغبة، الفرح، الحزن".** ويقول إن باقي الانفعالات هي خِلْطٌ أو مزيج من هؤلاء.

3.1 ما بعد الديكارتية: أحادية الذهن ووحدة الجسم والنفس

تميزت مرحلة ما بعد الديكارتية، على وجه الإجمال، بانبثاق تصورات مناهضة للإبستيمية الديكارتية تمثل أبرزها في:

- **التصورات المادية** (لوك، بيركلي، هيوم): تقوم أساسا على أحادية الذهن؛
- **السبينوزية:** ينتقد باروخ سبينوزا ثنائية ديكارت ويدافع عن تواز بين الجسم والذهن مؤسس على المحايثة لا على تعالي نموذج الثنائية الديكارتية (من أجل تفاصيل أكثر انظر: Channouf & Rouan, 2002).

4.1 فيم أخطأ ديكارت؟ خطأ ديكارت أم خطأ دامازيو؟

يطرح أنطونيو دامازيو فرضية الواسمات الجسدية marqueurs somatiques التي تقول بأن الانفعال يشارك في نشاط الذهن ويمكنه أن يدعم ويساند سيرورات التفكير بدل التشويش عليها (التصور الأفلاطوني). ويعتبر صاحب كتاب **سبينوزا على صواب** أن خطأ ديكارت يكمن في أنه استبعد الانفعالات من المشاركة في العقل. ولذلك، فانطلاقا من أبحاث نوروسيكولوجية (حالة فيلياس غايج) استطاع دامازيو أن يقلب الكوجيطو الديكارتي (أنا أوجد إذا أنا أفكر)، ويؤكد أن العقل لا يعمل وحده بل بمشاركة الانفعالات. لكن البعض يعتبر أن من أخطأ هو دامازيو! (انظر Kambouchner, 2009)

5.1 المرحلة المعاصرة

1.5.1 المقاربة العلمية للانفعالات: المقاربة الداروينية والمقاربة الوظيفية للانفعال

تمثل سنة 1872 سنة تاريخية لأنها ستشهد بداية المقاربة العلمية للانفعالات مع صدور عمل شارل داروين الموسوم بـ التعبير عن الانفعالات عند الإنسان والحيوان. بناء على البعد البيولوجي يدافع داروين عن أن الحركات التعبيرية للوجه حيوية سواء بالنسبة للإنسان أو الحيوان. كان لهذا المؤلف الأساسي أثر بالغ على تصورات القرن 19 وعلى النظريات التي طورت في القرن 20 خاصة لدى التيار البيولوجي لدى بعض السيكولوجيين مثل تومكينس Tomkins (1962) وإزارد Izard (1972) وإيكمان Ekman (1982) صاحب نظرية الانفعالات القاعدية. وهذا دون أن نغفل توبي وكوسميدس (المقاربة التطورية للانفعالات). بعد هذا المرحلة من تاريخ الانفعال، ستنتقل دراسة الانفعالات من البعد البيولوجي إلى البعد السيكولوجي. ومن أهم السجالات التي سيعرفها القرن العشرين ذلك السجال الناشب حول طبيعة الانفعال الذي جمع كلا من جيمس ولانج من جهة، وكانون وبارد من جهة أخرى. علاوة على هذا، تميز هذا القرن خاصة في فترة انفجار الأبحاث حول الانفعال بنقاش آخر دار هذه المرة حول طبيعة العلاقة بين المعرفية (لازاروس) والانفعال (زاجونك). لقد أحيا السجال الأول السجالات القديمة، وشكل نقطة انطلاق التصورات الحديثة بخصوص الانفعالات في علم النفس. أما التصور الثاني، فقد أدى إلى خلق دينامية نظرية بخصوص الانفعالات، وأعطى دفعة قوية للأبحاث حول العلاقة بين المعرفية والانفعال.

2.5.1 ما الانفعال؟ النظرية الهامشية في مقابل النظرية المركزية

يقول وليم جيمس: "موقفي هو أن التغيرات الجسدية تأتي مباشرة بعد إدراك واقعة مثيرة (مهيجة)، وأن وعينا بتلك التغيرات، إذا وقعت، هو ما يشكل الانفعال". نستنتج من هذا القول أن التغيرات الفيزيولوجية الجسدية والسلوكات المرتبطة بها ليست نتيجة للانفعال (التصور القديم) بل هي سبب للانفعال. فالوعي بالتغيرات الفيزيولوجية والجسدية هو نفسه الانفعال (وبذلك فإن ثورة جيمس تتمثل في جعل ما كان نتيجة سببا). كما أن فرضية جيمس فرضية قابلة للتحقق والاختبار من خلال ملاحظة أشخاص أسوياء أو مرضى. يقول جيمس لتبرير موقفه: "إننا لا نخاف لأننا ندرك بأننا نرتعد". ويقول أيضا: "إننا لا نبكي لأننا حزينون، ولكننا نشعر بالحزن لأننا نبكي".

تتابع الأحداث في النظرية الهامشية:

مثال:

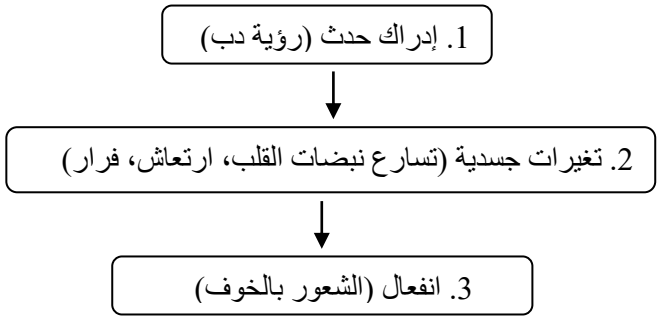

في مقابل النظرية الهامشية (نظرية جيمس-لانج) تعتبر النظرية المركزية للانفعال لكانون-بارد أن مصدر الانفعال هو الجهاز العصبي المركزي وخاصة المهاد، وأن التغيرات الجسدية ليست سببا وإنما هي نتيجة للانفعال (يدافع عنها أيضا ألكسندر ويلسون وشارل دانا بينما يدافع مارانون عن نظرية جيمس-لانج). من أهم تأثيرات نظرية كانون-بارد تدخل المهاد (thalamus) وما تحت المهاد (Hypothalamus) في الانفعال. وتعتبر نظرية العاملين لستانلي شاشتر (Stanley Schachter) أن الانفعال يتحدد بتفاعل مكونين: 1) تفعيل فيزيولوجي؛ 2) ومعرفية تتعلق بالوضعية المولدة للتنشيط الفيزيولوجي. وباقتراحه وجود معرفية مقترنة بالتفعيل الفيزيولوجي كمحدد لطبيعة الانفعال (1962)، يكون شاشتر من بين الرواد الأوائل للمقاربة المعرفية للانفعال. وتسلط النظريات المعرفية-الفيزيولوجية الضوء على دور السيرورات المعرفية في إحداث الانفعال، فانطلاقا من فرضية الواسم الجسدي تبين أن الانفعالات حليف أساسي للعقل بلعب أدوار متعددة في سيرورة التفكير والاستدلال وذلك بدعمه وفتح حوار معه (De Souza, 1987; Damasio, 1994).

2. أولية الانفعال أم المعرفية؟

بخصوص هذا السؤال توزعت التوجهات إلى ما سيأتي:

1.2 أولية المعرفية على الانفعال

موقف الدفاع عن أولية المعرفية على الانفعال انطلاقا من فرضية أن أي علاقة للكائن البشري مع البيئة تمر عبر النظام المعرفي الذي يحرك سيرورات إدراكية ومعرفية سريعة وآلية. يمثل هذا الموقف لازاروس (1982) الذي يرى أن النشاط المعرفي شرط ضروري للانفعال: ينبغي على الفرد فهم العلاقة بين رخائه والبيئة. وينتقد زاجونك (1984) الذي لا يعرف الانفعال ولا يقدم دليلا يثبت أن المعرفية لا تتدخل في الانفعال (مثال التقويم المعرفي) إضافة إلى أن نظرية زاجونك لا تقترح ميكانيزما سببيا وتتردد في القول بأن المعرفية تتسبب أحيانا في الانفعال وأحيانا لا.

2.2 أولية الانفعال على المعرفية

هذا الموقف يؤيد أولية الانفعال على المعرفية استنادا على الأسبقية الأنطوتكوينية والفيلوتكوينية للانفعال. يمثل هذا الموقف زاجونك الذي يستعرض ثلاث حجج تسند توجهه: 1) الانفعال القاعدي يمكن أن يحدث دون سيرورة معرفية قبلية؛ 2) هناك إجماع قوامه أن المعرفية القصدية والواعية ليست ضرورية للانفعال؛ 3) يمكن لاستجابة انفعالية أن تحدث مباشرة على أساس المعلومة الحسية غير المتحولة).

3.2 المعرفية في مقابل الانفعال داخل الدماغ

- **الرؤية الفصلية:** يقول ميشيل لودو (1989، 1993): " أقترح تمييزا بين الحاسوبية المعرفية والحاسوبية الوجدانية". دليل لودو على قوله أن ثمة نظاما دماغيا (يضم اللوزة) يؤدي وظائف وجدانية تمكنه من أن يشتغل في استقلال عن نظام دماغي (يضم الحصين) يضطلع بوظائف معرفية.

- **الرؤية الوحدوية:** يقول كل من باروتس وشولكين (1993) أن " المعرفية والانفعال قد فهما على أنهما منفصلان وليس كمتفاعلين" وأهم حجة يقترحانها لتعضيد موقفهما الوحدوي تتمثل في وجود معرفية انفعالية وأخرى غير انفعالية.

4.2 تفاعل المعرفية مع الانفعال

بالنسبة إلى مجموعة أخرى من الباحثين، يمثل كل من الانفعال والمعرفية واقعا سيكولوجيا واحدا لا يتجزأ (Laird et al., 1991; Riskind, 1991)، فإذا كانت الانفعالات تؤثر في المعرفية فالعكس صحيح، لأن الانفعالات "ما هي إلا أشكال أخرى من أشكال للمعرفية".

خلاصة

بوأت السيكولوجيا المعاصرة الانفعالات مكانة اعتبارية نظرا للدور المركزي لهذه الأخيرة في النظام المعرفي الأمر الذي يبرره "الموقع الشرفي" الذي تحتله الانفعالات في الدماغ البشري (Davidson, Maxwell, & Schackman, 2004). فكل الميكانيزمات السيكولوجية هي إما ضرورية للانفعال بما هو كذلك، أو أنها متأثرة بالانفعال أو أنها متورطة في تعديل الانفعال. فالانفعالات تندرج بكيفية أو بأخرى داخل السيرورات المعرفية ولها وظيفة تطورية حيوية، فهي "تصاحب"، و"تلون"، وقد "توجه" أو على الأقل "تشارك في التوجيه" مع المعرفية في أغلب الأحيان. والسيكولوجيا المعرفية قد أخطأت الطريق عندما فصلت فصلا غير مبرر أو مؤقت أحيانا بين المعرفية والانفعال. فأن تكون عقلانيا لا يعني القطيعة المطلقة مع الانفعالات، إذ أن "الدماغ الذي يفكر، ويحسب ويقرر هو نفسه الذي يضحك ويبكي ويشعر باللذة أو الألم" (Damasio, 1994).

تاريخيا، بلغت الانفعالات موقعا مميزا عزز عودة التأرجح بين بين "المعرفية الباردة" و"المعرفية الساخنة"، والتحول من "النزعة العقلية الخالصة" نحو "التجسدية"، ومن النزعة العقلية المفرطة" نحو "الحدسية"، ومن "الانفصال" نحو "الوضعياتية"، ومن "الدراسات المختبرية in vitro" إلى الملاحظة الحية in vivo.

نحن إذن أمام ثورة وجدانية يمكن تلمس إرهاصاتها في:

- أغلب التخصصات العلمية تعتبر الانفعال كعامل تفسيري حاسم؛
- معظم الميكانيزمات السيكولوجية أصبحت ضرورية للانفعال بما هو انفعال، ومتأثرة بالانفعال (الانتباه، الإدراك، الذاكرة، الحكم الأخلاقي، اتخاذ القرار)، ومتورطة في نمذجة الانفعال (إعادة تقويمه، إزالته).

وفي الأخير، يمكن تسجيل الخلاصات الثلاث التالية:

- اعتبرت الانفعالات منذ العصور القديمة كنقيض للعقل وغدت اليوم بفضل العلوم العصبية حليفة له، فهي تتمتع بوظيفة معرفية بدل أن تكون شرا لا بد منه؛
- لكونها جسمية ونفسية، فالانفعالات فرضت مراجعة كلية لأنطولوجيا العقلي؛
- الانفعالات أساس علاقتنا بالغير وأساس الذكاء الوجداني.

فهل يا ترى سيسدل الستار على إشكالية العلاقة بين المعرفية والانفعال بنهاية سعيدة؟

بصراحة، إن موقفي لا أدري وأعتبر أنه من الادعاء الصارخ القول بحل سحري لهذه المعضلة. لكن يظل طريق السعادة الممكن حاليا: المقاربة النوروسيكولوجية وتصور يأخذ في الحسبان تفاعل العضوية مع البيئة (énactivisme)، لكن دون حماسة نورولوجية (neuroenthousiasme) أو ريبية نورولوجية (neuroscepticisme) ومن غير نزعة مركزية لا حول الجسم (نيتشه والتفكير بالجسد) أو حول الذهن (المعرفية الباردة)، مع الوعي بأن كل مقاربة نوروسيكولوجية أو نوروفيزيولوجية أو نوروبيولوجية لا بد أن تخلف وراءها "فجوة تفسيرية" مفتوحة ما بين العملية الدماغية وخصائص الخبرة الواعية (Chalmers, 1997).

المراجع

Chalmers, D. J. (1997). *The conscious mind: In search of a fundamental theory*. Oxford Paperbacks.

Channouf, A., & Rouan, G. (2002). *Émotions et cognitions*. De Boeck Supérieur.

Damasio, A. (1994). Descartes' error: Emotion, rationality and the human brain. *New York: Putnam*.

Damasio, A. R. (2017). L'Ordre étrange des choses: La vie, les sentiments et la fabrique de la culture. Odile Jacob.

Darwin, C. (1877). L'expression des émotions chez l'homme et les animaux.

Davidson, R. J., Shackman, A. J., & Maxwell, J. S. (2004). Asymmetries in face and brain related to emotion. *Trends in cognitive sciences*, *8*(9), 389-391.

De Sousa R. (1987). The rationality of emotions. Cambridge MA : The MIT Press.

Deutsh F. (1959). On the mysterious leap from the mind to the body. New York : International University Press.

Ekman P. (1982). Emotion in the human face. New-York : Cambridge University Press.

Feldman B. L. (2011). Constructing emotion. *Psihologijske teme*, *20*(3), 359-380.

Izard C. E. (1972). Patterns of emotions. San Diego, CA : Academic Press.

Kambouchner, D. (2009). L'erreur de Damasio: la transition Descartes-Spinoza en psychophysiologie.

Lacroix, M. (2003). *Le culte de l'émotion*. J'ai lu.

Laird J. D., Cuniff M., Sheehan K., Shulman D. & Strum G. (1991). Emotion Specific Effects of Facial Expressions on Memory for Life Events. In D. Kuiken (Ed.), Mood and Memory, London : Sage, 87-98.

Lazarus, R. S. (1982). Thoughts on the relations between emotion and cognition. *American psychologist*, *37*(9), 1019.

LeDoux, J. E. (1989). Cognitive-emotional interactions in the brain. *Cognition & Emotion*, *3*(4), 267-289.

Ledoux, J. E. (1993). Cognition versus emotion, again-this time in the brain: A response to Parrott and Schulkin. *Cognition & Emotion*, *7*(1), 61-64.

Panksepp, J. (2004). Affective neuroscience: The foundations of human and animal emotions. Oxford university press.

Parrott, W. G., & Schulkin, J. (1993). Neuropsychology and the cognitive nature of the emotions. *Cognition & Emotion*, *7*(1), 43-59.

Riskind J. H. (1991). The Mediating Mechanisms in Mood and Memory : A Cognitive-Priming Formulation. In D. Kuiken (Ed.), Mood and Memory, London : Sage.

Schachter S. & Singer J. E. (1962). Cognitive, social, and physiological determinants of emotional state. Psychological Review, 69 (5), 379-399.

Tomkins S. (1962). Affect, imagery and conciousness : The positive affects (vol.1), New-York : Springer.

Zajonc R. B. (1984). On the primacy of affect. American Psychologist, 39, 117-123.